حجاجية الكلمة وبعدها التداولي في الخطاب القرآني الكريم

الحجاج في القرآن الكريم لعبد الله صولة

Pilgrimage of the word and its deliberative speech in the Holy Quran

Pilgrims in the Holy Quran by Abdullah Soula

بسمة حداد *

جامعة باتنة 1 (الحاج لخضر- الجزائر)

besma.haddad@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال:2019-01-12 تاريخ القبول:2019-12-31

ملخص

من الأمور التي لا يختلف فيها اثنان هي أن اللغة في جوهرها خطاب لا يخلو من الحجاج، وأنَّ الحجاج لا ينحصر في استعمالات خطابية ظرفية، وإنما هو بعد ملازم لكل خطاب على وجه الإطلاق، وكون القرآن الكريم خطابا فإنه لا يخلو من هذه الآلية الإقناعية، لأنه يرمي إلى تغيير وضع قائم، وهو وضع الكافرين والمشركين، ومحاولة التأثير فيهم وإقناعهم بالدخول في هذا الدين القيم، ولعل أهم المرتكزات التي انبنى عليها الخطاب القرآني في تأثيره على المشركين هي دقة وحسن اختيار الكلمات وتوظيفها أحسن توظيف؛ حيث لعبت الكلمة القرآنية دورا حجاجيا وإقناعيا كبيرا وذلك من خلال مالها من قدرة على التأثير العاطفي في قلوب المتلقين. ومن هنا فقد أردت أن يكون عملنا هو محاولة الإجابة عن التساؤل الآتي : ما لمقصود بحجاجية الكلمة ؟وما هي قيمتها الحجاجية في القرآن الكريم؟

الكلمات المفتاحية:حجاج، كلمة، بعد تداولي،قرآن كري

* المؤلف المراسل.

Abstract

. Among the matters in which two do not disagree is that language in its essence is a discourse that is not without pilgrims, and that the pilgrims are not limited to discursive uses of circumstantial, but is a dimension inherent in every discourse at all, and the fact that the Noble Qur'an is a discourse is not without this convincing mechanism, because It aims to change an existing situation, which is the situation of the unbelievers and the polytheists, and try to influence them and persuade them to enter into this valuable religion. Perhaps the most important pillars on which the Qur'anic discourse is based in its influence on the polytheists is the accuracy and good choice of words and their best employment. Where the Qur'anic word played a major argumentative and persuasive role, through its wealth of emotional ability to affect the hearts of the recipients. Hence, I wanted our work to be.

to try to answer the following question: What is meant by the pilgrimage of the word, and what is its argumentative value in the Holy Qur'an?

Key words: Hajjaj, the word, after my deliberation, Holy Quran

الكلمة وأهم خصائصها الحجاجية:

إن تعريف الكلمة حجاجيا يقتضي مدى استطاعتها على التأثير والإقناع، وهي عبارة عن " الوحدة المعجمية- الصرفية- الإعرابية معا القابلة لان تكتسب بالإضافة إلى معناها المعجمي سمات دلالية إضافية من خلال علاقتها بالمقال الذي ترد فيه وبالمقام الذي تستعمل فيه، وهي قادرة في الوقت نفسه على التأثير في ذلك المقال والمقام بفضل مالها من قيم دلالية مختلفة بعضها مستمد من اللغة نفسها وبعضها متأتّ من الاستعمال و التداول".[1]

أي كلمة إذن عند ورودها في سياق معين فإنها تكتسب دلالة من ذلك السياق بالإضافة إلى دلالتها المعجمية وذلك من خلال علاقتها بكلمات أخرى تكسبها معان سياقية و مقامية إضافية.

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط2، 2007،ص68..

فالكلمة إذن تؤثر وتتأثر بغيرها وذلك من خلال مجموعة من الخصائص المتعلقة بها، ومن بين أهم هذه الخصائص نذكر:

1. **الخصائص الاقتضائية:**

الاقتضاء " من اقتضى إذا طلب وتجيء بمعنى أخذ وقبض الدين(...) أما اصطلاحا فهي أن يدل لفظ بالالتزام على معنى غير مذكور مع أنّه مقصود بالأصالة ولا يستقل المعنى – أي لا يستقيم- إلا به لتوقف صدقه أو صحته عقلا أو شرعا عليه."[1]وعليه فإنّ الاقتضاء غالبا ما يكون في الجمل والتراكيب إلا أنّ ذلك لا ينفي وجوده في الكلمات المفردة وذلك من خلال ما تؤديه من معنى في الجمل، ومثال ذلك الفعلين: "وافق" و"رفض"، فقولنا "رفض فلان أن يأتي" أو "وافق فلان على المجيء" يقتضي وجود عرضا ما عرض عليه أو طلب منه فعل ما،[2]و المقتضى نوعان؛ المقتضى المعجمي والمقتضى البراغماتي،وعلى سبيل المثال نأخذ كلمة " الله" فمعناها المعجمي أنّها "اسم من أسماء الخالق سبحانه خاص لا يشركه فيه غيره ولا يُدعى به أحد سواه قبض الله الألسن عن ذلك، واختلف العلماء فيه هل هو اسم موضوع، أو مشتق؟ فذهب سيبويه في بعض أقواله إلى أنه اسم مرتجل للعلمية غير مشتق فلا يجوز حذف الألف واللام منه (...) وذهب آخرون إلى أنه مشتق (...) أله الرجل يأله إلاهة، أي عبادة ومعنى إلا له المعبود وقول الموحد (لا اله إلا الله) أي لا معبود إلا الله".[3] من خلال هذا المعنى المعجمي لكلمة الله والذي يعني المعبود هناك مقتضيان معجمان على حسب قول عبد الله صولة:[4]

المقتضى الأول: كون كلمة اله تعني معبود تقضي وجود عابد لذلك المعبود، قال ابن منظور:" قال أبو الهيثم: فالله أصله إلاه، قال الله عزّ وجل ﴿ما اتّخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على بعض سبحان الله عما يصيفون 91﴾ قال: ولا يكون إلها حتى يكون معبودا وحتى يكون لعباده خالقا ورازقا ومدبرا، وعليه مقتدرا،

[1] المحفوظ بن بية، أمالي الدلالات ومجالي الاختلافات، المكتبة الملكية، دار ابن حزم، ط1، 1999، ص107.
[2] ينظر: عب الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص88.
[3] السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1998،1، ج1، ص19.
[4] ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص96،95.

فمن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن عُبد ظلما"[1]. إذن فالملاحظ أن كلمة إله صفة ذات ميثاق ضمني يربط بين الخالق المعبود وهو الله والعابد أي الإنسان المطالب بالعبادة والخضوع له.

فالمقتضى المعجمي إذن لكلمة الله إلزامية الاعتراف بفضل خلق الله لنا ورزقه لنا " فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطنا ولوازم التوكل وثمراته ظاهرا وعلمه بسمعه تعالى وبصره(...) وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه تثمر له الخضوع والاستكانة و المحبة وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعا من العبودية الظاهرة هي موجباتها"[2].

المقتضى الثاني: يمثل المقتضى البراغماتي " مجمل الشروط الموضوعية الحاصلة في الواقع او المقام خارج الملفوظ للمساعدة على تحقيق العمل اللاقولي سواء كان أمرا أم نهيا أم استعطافا إلى غير ذلك".[3] فكلمة الله " وما تحمله من مقتضى معجمي كونها تدل على المعبود و المألوه قد يتحول هذا المقتضى من مقتضى معجمي إلى مقتضى براغماتي من خلال السياقات التي ترد فيها كلمة الله فجمل من قبيل ﴿اتقوا الله﴾، ﴿اعبدوا الله﴾، ﴿آمنوا بالله﴾، ﴿أطيعوا الله﴾ توجب هذه الأوامر من اتقاء وعبادة و إيمان وطاعة، فالمقتضى البراغماتي هنا يحمله المقتضى المعجمي الذي للكلمة فهو داخل الملفوظ، وليس موجودا خارج الملفوظ في الواقع..."[4]إنّ كلمة الله وما تحمله من معنى ذات ثلاث خصائص تأخذها من بعضها البعض فهي " ذات مقتضى معجمي وهذا المقتضى المعجمي يتحول إلى المقتضى البراغماتي، وهذا المقتضى البراغماتي يتحول إلى طاقة أو قيمة تأثيرية تضمن للملفوظ الذي يحملها أن تحقق دلالته بها.[5]

إنّ البعد الحجاجي لكلمة الله يظهر من خلال عدم الإنكار لمقتضاها البراغماتي الناجم عن المقتضى المعجمي للكلمة، مما يجعله أكثر تأثيرا وإقناعا، على عكس بعض الكلمات التي يمكن للمتلقي أن ينكر مقتضاها البراغماتي...

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، النيل- القاهرة، مج1، ص114.
[2] شمس الدين(أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي)، أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، دراسة تطبيقية نظرية، تح عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، ص57.
[3] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص103.
[4] نفس المصدر، ص105.
[5] نفس المصدر، ص106.

2/ خصائص الكلمة التداولية:

تظهر الخصائص التداولية للكلمة من خلال استخدام القران الكريم للألفاظ العربية ومن خلال كذلك حركتها داخل التركيب وما تؤديه من دور حجاجي.

أ/ طرائق استخدام القرآن للألفاظ العربية:

لقد تعدد استخدام القرآن للألفاظ العربية، بحيث جعل تلك الألفاظ تتمايز فيم بينها، وفي ما تؤديه من بعاد حجاجية و إقناعية، ومن بين تلك الاستخدامات نذكر ما يلي:[1]

- ✓ الحفاظ على الكلمة نفسها معنى شرعي إلى معناها اللغوي الذي كان لها في الاستعمال، على النحو الذي نجده مع كلمة المؤمن أو كلمة الإسلام، قال عبد الله صولة فيما نقله عن ابن فارس: " العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان، وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمنا، وكذلك الإسلام والمسلم، إنما عرفت منه إسلام الشيء: ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء."[2]
- ✓ الحفاظ على الكلمة بمعناها الديني الذي كان لها قبل نزول القران مع زيادة قيود شرعية، مثل ما هو عليه لفظ الصيام، ولفظ الحج، فقد عُرفتا في الجاهلية وتم الإبقاء على معنييهما، وأضاف الإسلام إليها بعض القيود والشروط.
- ✓ الحفاظ على الكلمة نفسها مع نقلها من مجال الحقيقة الى المجاز مثل المنافق والكافر والفاسق...
- ✓ الحفاظ على الكلمة مع نقلها من مجالها الديني الوثني عند العرب في الجاهلية إلى مجال التوحيد، كما هو الشأن مع أسماء الله الحسنى.

---

[1] نفس المصدر، ص158،157.

[2] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص158،157.

*مثل الكلمات كمثل قواعد الشطرنج، لان قواعد الشطرنج نظام ينتظمه جدول(...) قوامه المربعات ذات العلاقات فيما بينهما(...) ولكن الاختلاف بين أي مربع وبين المربعات الأخرى مهم جدا في الوظائف التي تؤديها هذه المربعات أثناء اللعب(...)فقواعد لعبة الشطرنج ومربعاته كنظام اللغة صرفا ونحوا وقطع الشطرنج المختلفة الشكل والوظيفة كالكلمات وحركات اللعب نفسها..."تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، 1999، ص316،315.

إن هذه الكلمات ذات بعد حجاجي أقوى لأنها كلمات مستعملة ومعلومة من قبل من طرف العرب.

ب/حركة الكلمات الحجاجية:

يقول عبد الله صولة " المقصود بحركة الكلمة مزاحمتها غيرها من الكلمات اللاتي من جدولها المعجمي(...) أو هن من غير جدولها المعجمي، لكن شاءت لعبة* المجاورة بواسطة المرسل خاصة".[1] فالمتكلم يعمد إلى اللغة بوصفها خزانا جماعيا رحبا فينتقي منه المفردات التي تخدم المعنى الذي يرمي إليه، والسياق هو الذي يعين على تحديد واختيار تلك الكلمات التي تقع ضمن جدول معجمي واحد، وقد أطلق الزركشي على هذا المصطلح (حركة الكلمة) مصطلحا آخر وهو " مشاكلة اللفظ للمعنى".[2] أما الأسلوبيون فقد أطلقوا مصطلح العدول على هذه الظاهرة ولا وجود لفرق بين الاختيار و العدول حسب "صولة" ويرجع ذلك إلى أمرين" الأمر الأول هو أن كل اختيار (...) إنما يؤدي لا محالة إلى قيام العدول، وأن العدول إنما يبنى على اختيار لبعض العناصر اللغوية دون الأخرى، والأمر الثاني هو أن المفهومين كليهما يستندان إلى مقولة الاحتمال(...) أي أنها في نهاية المطاف آيلان إلى مبدأ واحد هو مبدأ التحقيق في الخطاب على أساس الاختلاف والتعارض."[3] ومن امثل عدول القران عن كلمة إلى كلمة،أو بصيغة أخرى اختيار كلمة دون أخرى قوله تعالى:﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب﴾ سورة آل عمران-59- فقوله عز وجل: "من تراب" ولم يقل من "طين" كما ورد في أية أخرى: ﴿إني خالق بشرا من طين﴾سورة النور-54- إنما عدل عن الطين الذي هو مجموع الماء والتراب إلى ذكر مجرد التراب لمعنى لطيف، وذلك انه أدنى العنصرين وأكثفهما، لما كان المقصود مقابلة من ادعى في المسيح الإلهية أتى بما يصغّر أمر خلقه عند من ادعى ذلك، فلهذا كان الإتيان بلفظ التراب أمس في المعنى من غيره من العناصر، ولما أراد سبحانه الامتنان على

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص169.
[2] الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، ج3، ص378.
[3] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص171.

بني إسرائيل أخبرهم أن يخلق لهم من الطين كهيئة الطير، تعظيما لأمر ما يخلقه بإذنه، إذ كان المطلوب الاعتداد عليهم بخلقه ليعظموا قدر النعمة به"[1].

3/ حركة الكلمة الحجاجية بناء على خصائصها في اللغة(الاقتضاء والتقويم):

تحدث هذه الحركة أما بالعدول عن الاسم إلى الصفة أو بالعدول من الصفة التي لا يكون لها اقتضاء أو تقويم إلى الصفة تكون ذات طاقة اقتضائية، كما تتم هذه الحركة كذلك بالعدول من الخاص إلى العام.

1. **العدول عن الاسم إلى الصفة:**

يرى بعض النحاة أن اسم العلم لا يحمل معنى في ذاته وليس لديه اي محتوى، بل وظيفته الوحيدة هي الإحالة على شخص ما، ولما كان اسم العلم لا يؤدي الدور الذي يؤديه وصفه كان لزام العدول عن الأول إلى الثاني (عن اسم علم إلى الصفة) فذلك العدول قد يضمن العملية الحجاجية ومن بين الأمثلة الكثيرة الورود في القرآن الكريم العدول عن اسم محمدﷺ إلى صفة " الرسول" أو " النبي"، فعن الصفة الأولى، قوله تعالى:﴿أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾ الحجرات-01- أما عن الصفة الثانية (النبي) قوله تعالى:﴿ يا أيها الذين امنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وانتم لا تشعرون﴾ الحجرات 02، فالمحاججة بصفة الرسول غالبا ما تكون مقرونة بمقامات الأمر والطاعة...وبصفة النبي في مقامات الأمر والنهي، وفي هذا الأمر تحدّث الزركشي وبيّن الفرق بين الخطاب الذي يحتوي على صفة النبي والخطاب الذي يتضمن صفة الرسول حيث قال: " ولهذا اتجه الخطاب بالنبي في محل لا يليق به الرسول وكذا عكسه كقوله في مقام الأمر بالتشريع العام:﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربك﴾ المائدة67، وفي المقام الخاص: ﴿ يا أيها النبي لم تحرّم ما أحلّ الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم﴾ التحريم01.[2]

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص378.
[2] م.ن، ج3، ص229.

إنَ العدول إلى اسم "الرسول" أو "النبي، يجعل الخطاب أكثر إقناعا بفضل السمات الدلالية التي اكتسبتها تلك الصفة كما من شأنه " أن يضفي على القول الذي يرد فيه خصوصا في سياقات الأمر والنهي وهي كثيرة في القرآن بعدا منطقيا يجعل هذا القول مقنعا خصوصا في مواجهة الخصوم من منكري الرسالة المحمدية، ويتمثل هذا البعد المنطقي في ما ينشأ عن لفظة "الرسول" في الجملة من نظام دلالي ضمني يقوم على تعليل معنى تلك الجملة العام تعليلا يوجه الخطاب وجهة حجاجية معينة"[1].

فجمله قوله تعالى﴿قل أطيعوا الله و أطيعوا الرسول﴾النور54

تمنح لكلمة"الرسول" هنا دور المعلل بوجوب الطاعة وتبين سببها

أطيعوا الرسول ←——————— لكون الرسول يطاع

نتيجة سبب

فجملة أطيعوا الرسول عبارة عن نتيجة، و هاته النتيجة تقتضي وجود سبب مؤدي إلى تلك النتيجة فهذه العلاقة بين النتيجة و السبب تعتبر تقنية من تقنيات الحجج شبه المنطقية، والتي تزيد من درجة الاقتناع والتسليم لما يطرح من حجج، لذلك تم العدول عن الاسم العلم إلى صفة الرسول أو النبي لم تلك الصفتين من بعد حجاجي غير موجود في كلمة محمد.

2. **العدول عن الصفة إلى الصفة:**

كثيرا ما يتم العدول عن صفة المشركين إلى صفة الكافرين أو الظالمين أو المجرمين، وذلك لما تؤديه تلك الصفات من أثر في نفسية الكفار لا يكون عندما ينعتون بصفة المشركين لأنهم متيقنون من شركهم وعقيدتهم، ومن أمثلة ذلك في القران الكريم قوله تعالى :

1/﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾البقرة 161.

2/﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله﴾آل عمران151.

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص180.

3/﴿بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الأنعام 144 .

4/﴿يدخل من يشاء في رحمته والظالمون مالهم من ولي ولا نصير﴾الشورى08.

5/﴿ألم تهلك الأولين(16)ثم نتبعهم الآخرين(17) كذلك نفعل بالمجرمين ﴾ المرسلات 18.

إنَ الدور الحجاجي الذي ينهض به هذا العدول ،يمكن حصره في أربعة وجوه هي[1] :

الوجه الأول : إنَ العدول عن صفة المشركين إلى صفة الكافرين أو الفجار أو الفاسقين ...يقتضي بعدا حجاجيا، وهو جعل هذه الصفات لاصقة بهم ولا تقبل الشك أو الدحض، كما يقتضي أن الشرك يعد كفرا وظلما وفسقا وفجورا ،ودليل ذلك قوله تعالى ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ لقمان 13،"إن إفادة " الشرك" معاني الكفر والظلم والفسوق وغيرها على وجه الاقتضاء لا على وجه المنطوق يجعل هذه المعاني بحكم أنها مقتضاه في الجملة بمنزلة الحقائق التي عدت مسلما بها "[2].

الوجه الثاني : إنَ العدول عن صفة المشركين إلى صفة الكافرين ...يعتبر حجة من الحجج الشبه المنطقية وهي حجج الربط السيئ ،ويكون إما بالربط بين النتيجة والسبب أو العكس، فصفة المشركين سبب لإطلاق صفات الكفار والظلم أو الفجور .

مشركون يؤدي ظالمون ،كافرون

سبب ← نتيجة

الوجه الثالث: إنّ كلمة المشركين لا تؤثر في أصحابها ولا تحرجهم ولا تجرحهم، لذلك قلَ ارتباط هذه الصفة في القرآن الكريم بالعذاب والوعد و الوعيد، بل ارتبطت صفات أخرى بهذا الشأن مثل صفة الظالمين الفجار والكافرين، وإن وجدت صفة المشركين فهي مقترنة بصفة الظالمين أو الكافرين، قال تعالى:

﴿و أعتدنا للكافرين عذابا مهينا ﴾النساء 37.

﴿وأنَ للكافرين عذاب النَار﴾الأنفال 14.

﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا﴾الزمر71.

﴿إنَ الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ابراهيم22.

[1] ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص192.
[2] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص194.

﴿ثمَ قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد﴾يونس 52.

﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾مريم86.

فكما قلنا كلمة "المشركين" أو الذين أشركوا لا تؤثر في أصحابها، فهم لا يرون مدعاة أو سبب لعقابهم والمصير البئيس الذي ينتظرهم،لذلك عدل عن هذه الصفة إلى صفات أخرى (الكفار ،الفجار ،الظالمون...) لأن هناك سبب يؤدي إلى تلك النتيجة مثل :

جزاء الكافرين النار ← سبب كفرهم.

إن للمجرمين عذاب جهنم ← سبب إجرامهم.

الوجه الرابع :إنَ صفات "الكافرين" و"الظالمين"و"الفاسقين" مردها إلى المجال الزراعي، فهي عبارة عن صفات مجازية،والعدول عن صفة المشركين إلى هذه الصفات"عدول عن المفهوم إلى الصورة التي تجسده على نحو لم يكن ليرضي الخصوم، وهو من جهة القرآن تقديم للحجة المادية على دعوى الضلال الذي ينغمس فيه المشركون."[1]

4/ حركة الكلمة الحجاجية في القرآن عند الاستعمال والتداول:

أ/ كلمة الرحمن عوض كلمة الله:

يعتبر العدول عن اسم الله إلى اسم الرحمن ذا بعد حجاجي لما تحمله كلمة الرحمن من صفات حجاجية و اقناعية وتأثيرية، وقد اختُلف في أصل الكلمة أمتداولة من قبل نزول القرآن، أم هي جديدة أتى بها القرآن الكريم. فمن بين الذين قالوا أنها جديدة وغير متداولة من قبل ابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير حين فسّر قوله تعالى:﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا﴾ الفرقان60. حين قال: "لما جرى وصف الله تعالى الرحمن مع صفات أخر استطرد ذكر كفر المشركين بهذا الوصف، وقد علمت(...) أن وصف الله تعالى باسم (الرحمان) هو من وضع القرآن ولم يكن معهودا للعرب".[2]

أما الرأي الثاني وهو الذي قال بان الاسم كان متداولا من قبل نجد ما ذهب إليه ماكسيم رودنسون؛ إذ اعتبر أن اسم الرحمن كان ربما متداولا على الألسنة في بعض الأوساط اليهودية

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص200.

[2] ابن عاشور(محمد الطاهر)، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس،1984،مج09، ص61.

والنصرانية بمكة."[1]إن هذا الاختلاف حول أصل الاسم(الرحمن) لا ينقص من حجاجيته لأنه جاء في القرآن الكريم مرادفا لكلمة الله قال تعالى:﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ الاسراء110. وهذا ما جعل الكفار ينكرونه ويرفضونه لارتباطه بالبعد التوحيدي لله.

قال تعالى﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا(88) لقد جئتم شيئا إدا(89) تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا(90)أن دعوا للرحمن ولدا(91) وما ينبغي للرحمن أن يتّخذ ولدا(92)إن كل من في السماوات والأرض إلا آتى الرحمان عبدا(93)﴾مريم.

إن استعمال القرآن الكريم لكلمة الرحمن، "يعد وسيلة من وسائل التواصل وإحداث القطيعة في الوقت نفسه مع سائر الأديان، بناء منه لخصوصيته انطلاقا من المشترك المتداول، وهي ذات طابع حجاجي(...) من حيث أنها تبني الجديد على القديم والمختلف على المألوف."[2]

وتجدر الإشارة إلى أن كلمة الرحمن ارتبط ظهورها في " سياق تثبيت العقيدة، ولم ترد قط في سياق التشريع وضبط الأركان التي تميز الدين الجديد لا في المكي ولا في المدني وإنما جيء في هذا السياق بكلمة "الله" خاصة مما قد يعني أن كلمة الرحمن قد اختصت بالبعد الديني الأخروي[3]" بعد استعمال القرآن الكريم لكلمة الرحمن اختفت هاته الكلمة وعوضت بكلمة "الله، "وهذا الاختلاف تم تفسيره حجاجيا من قبل جومييه حيث قال :"إنَ اختيار كلمة "الله" اسما أساسيا للإله الواحد(عوض اسم الرحمن) يتماشى ومهجة القرآن في تعامله مع أمور أخرى (. . .) إنَ من شأن هذا الحل الذي جاء به القرآن لا يثير حفيظة أهل مكة الذين ينفرون من كلمة "الرحمن" ولا يتساهل في الوقت نفسه في أمر العقيدة ."[4] وعليه فإنَ لظهور كلمة الرحمن بعدا حجاجيا استعمل في التأثير في نفوس المشركين وإقناعهم بتوحيد الله، كما لاختفائها كذلك بعد حجاجي وذلك من خلال فتحها "أبواب الدين الجديد أمام جماهير

---

[1] Maxime Robinson Mohamed,Edition, du seuil,2eme edition, 1986(1 ereedition 1961),p149.
نقلا عن عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص214..

[2] عبد الله صولة، ص216،217.

[3] نفس المصدر، ص219.

[4] Jacques jomier ,le nom divin "Al Rahman"dans le coran mélanges louis Massignon, institut français de demas, 1957,p366,not 1
نقلا:عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص218

المشركين ممن كانت الكلمة تزعجهم وتسهم في الوقت نفسه في تمييز ذلك الدين من الدينين التوحيديين الأخريين وإن كانت وإياهما من مشكاة واحدة".[1]

ب/بنو إسرائيل عوض "بنو يعقوب" وعوض" اليهود":

إنَ استعمال القرآن الكريم لكلمة "بنو إسرائيل " عوض "بنو يعقوب" يحمل دلالة حجاجية وذلك من خلال ما تثيره هاته الكلمة في نفوس اليهود لا تحمله كلمات أخرى ،وهذا راجع لارتباط هاته الكلمة بدين أسلافهم ،وهذا ما نوه إليه الزركشي بقوله :"قد يكون للشخص اسمان ،فيقتصر على أحدهما دون الآخر لنكته ، فمنه قوله تعالى في مخاطبة الكتابيين :﴿يا بني إسرائيل ﴾ سورة البقرة40.

ولم يذكروا في القرآن إلاَ بهذا دون "يا بني يعقوب" وسرّه أن القوم لما خوطبوا بعبادة الله، وذكّروا بدين أسلافهم موعظة لهم وتنبيها من غفلتهم، سمَو بالاسم الذي فيه تذكرة بالله، فإنَ"إسرائيل" اسم مضاف إلى الله سبحانه في التأويل."[2] إنَ اختيار القرآن الكريم للفظة "بنو إسـرائيل"لشرف لهؤلاء القوم ورفعٌ من شأنهم، وهي بهذا تعدَ مقدمة من المقدمات الحجاجية (وقائع) ينطلق منها لتذكير اليهود بالنعم التي أنعمها الله عليهم قال تعالى ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ البقرة47.

ج/الرسول النبي الأمي عوض محمد ﷺ :

قال تعالى ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتـوبا عندهم في التوراة و الإنجيل ﴾الأعراف 157.وقال﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلَكم تهتدون﴾ الأعراف 158.

فالملاحظ في هاتين الآيتين أنه تم العدول عن اسم محمد إلى صفاته؛ الرسول، النبي الأمي،وذلك على "وجه المجادلة و الحجاج والبرهنة لليهود والنصارى على صحة بعثة محمد "[3] .فهذا العدول يعتبر حقيقة لا يمكن دحضها أو الشك بها من طرف المشركين، وهذا الجمع بين الصفات الثلاث للرسول محمد ﷺحجة قائمة على من ادعى النبوة لغير محمد وهذا ما

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص222.
[2] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص161.
[3] عبد الله صولة، ص323.

ذهب إليه ابن عاشور حين قال :" ومن نكت القرآن الجمع في هذه الآية بين وصفي النبوة والرسالة للإشارة إلى أن اليهود بدّلوا وصف الرسول وعبروا عنه بالنبي ليصدق على أنبياء بني إسرائيل وغفلوا عن مفاد قوله مثلك ،وحذفوا وصف الأمي"[1].

هذه هي إذن الكلمة القرآنية وما تؤديه من دور تداولي فهي ذات طاقة حجاجية كبيرة لمدى استطاعتها على التأثير و الإقناع.

قائمة المصادروالمراجع

1 الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة دار التراث، ج3.

3. المحفوظ بن بية، أمالي الدلالات ومجالي الاختلافات، المكتبة الملكية، دار ابن حزم، ط1، 1999.

4. ابن منظور، لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، النيل-القاهرة، مج1.

5. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1998،1.

6. ابن عاشور(محمد الطاهر)، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس،1984،مج09.

7. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط2، 2007.

8. . شمس الدين(أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي)، أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، دراسة تطبيقية نظرية، تح عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية.

9. تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، 1999.

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص132.